﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦﴾ [غافر: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بَعْدَ الاسْتِقْواءِ على المُسْتَضْعَفينَ جاءَ التَّبَجُّحُ بالقُوّةِ وقَلْبُ الحَقائِقِ

لَمّا أَخْبَرَ اللهُ تَعالى بِفِعْلِ فِرْعَونَ بِنِساءِ مَنْ آمَنَ مَعَ موسى عليه السلام وأَبْنائِهم، وبِضَلالِ كَيْدِهم أَخْبَرَ كذلك عَنْ فِعْلِهِ مَعَهُ، بقوله لِرُؤَساءِ أَتْباعِهِ: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾... ، دافِعًا عَنْ نَفْسِهِ تهمةَ العجز عن مواجهة موسى عليه السلام، موهِمًا أَنَّ آلَهَهُمُ الَّذينَ يَرُدّونَهُ عَنْهُ، وأَنَّهُ لَوْلا ذَلِكَ لَقَتَلَهُ[1]، فبَعْدَ أَنِ انْتَهَتْ حيَلُ فِرْعَونَ وأَباطيلُهُ، وبَعْدَ أَنْ ضاقَ موسى ومَنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ تَبَجَّحَ بادِّعاءاتِ القوَّةِ والبَطْشِ والطُّغيانِ والاسْتِبْدادِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ذَرُونِيٓ﴾: (وذر) كَلِمَتانِ: إِحْداهُما الوَذْرَةُ، وهي القِطعةُ الصَّغيرةُ مِنَ اللَّحمِ، ولا علاقةَ لها بالمرادِ هنا. والأُخرى قَوْلُهُمْ: ذَرْ ذا[2]؛ بمعنى: دَعْ ذا، ولا يُقالُ: وذَرْتُه وذْرًا؛ فقَدْ أماتَت العَرَبُ المَصْدَرَ مِنْ (يَذَرُ) والفعلَ الماضيَ، فلا يُقالُ: (وذَرَهُ) ولا (واذِرٌ)، ولَكِنْ (تَرَكَهُ) وهوَ (تارِكٌ)، وحُكْمُ (يَذَرُ) في التَّصْريفِ حُكْمُ (يَدَعُ)، ولِذَلِكَ جاءَ على لَفْظِ (يَفْعَلُ)[3]. وكُلُّ ما في القُرْآنِ مِنْ هذا التَّرْكيبِ فهوَ بِمَعْنى التَّرْكِ[4]. والمُرادُ بـ﴿ذَرُونِيٓ﴾ هَهُنا: اتْرُكوني على أَيِّ حالَةٍ كانَتْ[5].

2) ﴿يُبَدِّلَ﴾: (بدل) أَصْلٌ واحِدٌ، وهوَ قِيامُ الشَّيْءِ مَقامَ الشَّيْءِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 50 (بتصرف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وذر).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (وذر).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (وذر).
(5) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 50.

الذّاهِب. وبَدَّلْتُ الشَّيْءَ: إذا غَيَّرْتَهُ وإنْ لَمْ تَأْتِ لَهُ بِبَدَلٍ. وأبْدَلْتُهُ: إذا أتَيْتَ لَهُ بِبَدَلٍ[1]. وقد جاء (بدَّلتُ) بِمَعْنى (أبدلتُ)، ومنه قَوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: 70]، فقد أزال السَّيِّئاتِ وجعل مَكانها حسناتٍ[2]. فالتَّبديلُ: حُلولُ شَيْءٍ مَحَلَّ شَيْءٍ؛ أي: وُجودُ هَذا لاِخْتِفاءِ ذاكَ؛ ليدلّ على مُجَرَّدِ تَغْيِيرِ الشَّيْءِ عَمّا كانَ عليه إلى وضْعٍ جَديدٍ غَيْرِ الأوَّلِ كَقَوْلِه تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: 59][3]. والمُرادُ بِقَوْلِ فِرْعَونَ هَهُنا: "أنْ يُغَيِّرَ حالَكُمُ الَّذي أنْتُمْ عليه مِن عِبادَتي وعِبادَةِ الأصْنامِ"[4].

3) ﴿دِينَكُمْ﴾: (دين) أصْلٌ واحِدٌ. وهوَ جِنْسٌ مِنَ الانْقيادِ والذُّلِّ. فالدّينُ: الطّاعةُ، والانْقيادُ[5]، والعادةُ والشَّأْن، تَقولُ العَرَبُ: ما زالَ ذَلِكَ ديني ودَيْدَني؛ أي: عادَتي[6]. واسْتُعيرَ لِلشَّريعةِ والدّينِ كالمِلّةِ، لَكِنَّهُ يُقالُ اعْتِبارًا بالطّاعةِ والانْقيادِ لِلشَّريعةِ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: 19][7]. والمُرادُ بالدّينِ هَهُنا: الَّذي هُمْ عليه مِن نِسْبةِ الفِعْلِ إلى الطَّبيعةِ بِما يَدْعو إلَيْهِ مِن عِبادَةِ إلَهِه[8].

4) ﴿ٱلْفَسَادَ﴾: المُرادُ بالفَسادِ: خُروجُ الشَّيْءِ عَنِ الاعْتِدالِ، قَليلًا كانَ الخُروجُ عَنْهُ أو كَثيرًا، ويُضادُّهُ الصَّلاحُ، ويُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ في النَّفْسِ، والبَدَنِ، والأشْياءِ الخارِجَةِ عَنِ الاسْتِقامَةِ[9]. ومعناه المحوريّ: ذَهابُ نَفْعِ الشَّيْءِ المَقْصودِ مِنْهُ؛ أي: تَلَفُهُ وهَلاكُهُ؛ لِحِدَّةٍ ضارَّةٍ تَسْري في أثْنائِهِ[10]. ومَعْنى إظْهارِ موسى الفَسادَ عِنْدَهم: أنّ دَعْوَتَه تَغييرُ ما هم عليه مِنَ الدّيانَةِ والعَوائِدِ؛ لِظَنِّه أنَّ ما خالَفَ دينَهم يُعَدُّ فسادًا[11].

المَعْنى الإجْماليُّ:

بَيَّنَتِ الآيَةُ طَرَفًا مِنْ حَديثِ فِرْعَوْنَ لِحاشِيَتِهِ ومُسْتَشاريهِ وخاصَّتِهِ، بسعيه للخلاص

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بدل).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (بدل).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (بدل).
(4) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 316.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دين).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (دين).
(7) الراغب، مفردات القرآن: (دين).
(8) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 50.
(9) الراغب، مفردات القرآن: (فسد).
(10) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (فسد).
(11) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 125.

دَيـدَنُ الطُّغاةِ البَطْشُ وقَلبُ الحَقائِقِ وتأليبُ العامَّةِ وتَخويفُهم منَ المُصْلِحينَ

من موسى ﷺ مع مُعارَضَتهم لقتله؛ لأنَّهُمْ يَرَوْنَ أنَّ قَتْلَهُ لا يُنْهي المَتاعِبَ، بَلْ قَدْ يَزيدُها اشْتِعالًا؛ لأنَّ عامَّةَ النّاسِ سَيَفْهَمونَ أنَّ قَتْلَ موسى كانَ بِسَبَبِ أنَّهُ على الحَقِّ، فتَثورُ ثائِرَتُهُمْ بسببِ قَتْلِهِ، أو لأنَّهُمْ كانوا يَخافونَ أنَّ قَتْلَهُ سَيُؤَدّي إلى نُزولِ العَذابِ بِهِمْ، غَضَبًا مِنْ رَبِّ موسى، ولَعَلَّ بَعْضَهُمْ كانَ يَعْتَقِدُ أنَّ موسى على حَقٍّ ولَكِنَّ الخَوْفَ مَنَعَهُ مِنَ الجَهْرِ بِذَلِكَ، أو لأنَّهُمْ كانوا يَرَوْنَ أنَّ قَتْلَ موسى سَيُؤَدّي إلى تَفَرُّغِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ، وهُمْ لا يُريدونَ هَذا التَّفَرُّغَ؛ لأنَّهُ يُؤَدّي إلى ضَياعِ الكَثيرِ مِنْ مَنافِعِهِمْ.

ثُمَّ تَظاهَرَ هَذا الطّاغيَةُ بأنَّهُ لا يُبالي بِما يَكونُ مِنْ وراءِ قَتْلِهِ لِموسى، وأنَّهُ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ لا به ولا بِرَبِّه، مُظهِرًا ما جُبِلَ عليه مِنْ فُجورٍ وتَكَبُّرٍ واسْتِهْزاءٍ بالحَقِّ، فكَأنَّهُ يَقولُ: إنّي قاتِلٌ لِموسى ولْيَدْعُ رَبَّهُ لِكَيْ يُخَلِّصَهُ مِنّي! وأنَّهُ ما حَمَلَهُ على إرادَةِ قَتْلِ موسى إلّا الحِرْصُ على مَنْفَعةِ حاشيته؛ خوفًا من أنْ يُبَدِّلَ دينَهم الَّذي هم عليه بِدينٍ آخَرَ، أو بأنْ يُظْهِرَ في الأرْضِ الَّتي تَعيشونَ عَلَيْها الفَسادَ، عَنْ طَريقِ بَثِّ الفِتَنِ بَيْنَكُمْ وإيقادِ نارِ العَداوَةِ في صُفوفِكُمْ. والعَمَلِ على اضْطِرابِ أمْرِ دُنْياكُمْ ومَعاشِكُمْ. وهَكَذا الطُّغاةُ الماكِرونَ في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ؛ يَضْرِبونَ الحَقَّ بِكُلِّ سِلاحٍ مِنْ أسْلِحَتِهِمُ الباطِلَةِ، ثُمَّ يَزْعُمونَ بَعْدَ ذَلِكَ أمامَ العامَّةِ والبُسَطاءِ والمَغْلوبينَ على أمْرِهِمْ أنَّهُمْ ما فعَلوا ذَلِكَ إلاَّ مِنْ أجْلِ الحِرْصِ على مَصالِحِهِمُ الدّينيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مَعْنى الواوِ في قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ﴾:

في قَولِ اللّه تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ جاءت الواوُ استئنافيَّةً تفصلُ هذه الجملة عمّا قبلَها من حيث الإعرابُ، وهو

(1) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 279 - 280 (بتلخيص وتصرف).

قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: 25]؛ وذَلِكَ لانْقِطاعِها عنها؛ فقدْ جاءتِ الجملة السّابِقَةُ تَذْييلًا للآيةِ السّابِقَةِ الَّتي بَيَّنَتْ بَطْشَ آلِ فِرْعَونَ بالمُسْتَضْعَفينَ منْ أتْباعِ موسى عليه السلام، ثُمَّ استَأْنَفَتْ هَذِه الجملة ذِكْرَ طَرَفٍ مِمّا دارَ بينَ فِرْعَونَ ومَلَئِه منْ نِقاشٍ حَوْلَ طَريقَةِ التَّخَلُّصِ منْ موسى عليه السلام.

حَيْرَةُ أهْلِ الضَّلالِ وكَثْرَةُ نِقاشِهِم في طُرُقِ وأدِ الحَقِّ وإزْهاقِه

وذَكَرَ الجَمَلُ عنْ شَيْخِه: أنَّها حَرْفُ عَطَفَ هَذِه الجملة على جملة جَوابِ ﴿فَلَمَّا﴾ [غافر: 25] في الآيَةِ السّابِقَةِ، وهيَ قَوْلُهُ: ﴿قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ﴾ [غافر: 25][1]. وفي هَذا الأُسْلوبِ إيماءٌ إلى أنَّ فِرْعَوْنَ لَمْ يَعْمَلْ بنصيحةِ الملأ الَّذين أشاروا عليه بقتل مَنْ مع موسى عليه السلام، وأنَّهُ سَكَتَ ولَمْ يُراجِعْهم بتَأْييدٍ ولا إعْراضٍ، ثُمَّ رَأى أنَّ الأجْدَرَ قَتْلُ موسى دونَ الَّذينَ آمَنوا مَعَهُ؛ لأنَّ قَتْلَهُ أقْطَعُ لِفِتْنَتِهِمْ[2]. فالواوُ تَدُلُّ على أنَّهُمْ قالوا كَذا وقالَ فِرْعَوْنُ كَذا، ولَيْسَ بِلازِمٍ أنْ يَكونَ قَوْلُهُ مُرتَّبًا على قَوْلِهِمْ، ويُرَجَّحُ أنْ يَكونَ القَوْلانِ في زَمَنٍ واحِدٍ[3].

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ﴿ذَرُونِىٓ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

إيهامُ فِرْعَونَ بِقُوَّةِ إرادَتِه، وبأنَّ ثَمَّةَ ما يَحولُ دونَ إمْضائِها منْ شَفاعَةٍ أوْ سياسَةٍ

استُعملَ الفِعْلُ ﴿ذَرُونِىٓ﴾ في قَولِ اللّه تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾؛ لِما فيه مِنْ مَعْنى التَّرْكِ؛ إذْ هوَ مُفارَقَةٌ للشَّيْءِ وانْفِصالٌ أو تَخَلٍّ عَنْهُ. وإيثارُ التَّعْبيرِ بهذا اللَّفظِ دونَ غَيْرِه مِنَ الألفاظِ الدّالَّةِ على التَّرْكِ والتَّخْليَةِ لِقِلَّةِ تَصَرُّفِ مادَّةِ (وَذَر)، فهيَ أشَدُّ دَلالَةً على قوَّةِ الرَّغْبَةِ في تَنْفيذِ ما هو مُقْبِلٌ عليه مِنَ إرادَةِ قَتْلِ موسى عليه السلام، فضلًا عمّا فيه من بيانٍ لإيهامِ فِرْعَونَ لِمَلَئِه بقوَّةِ إرادَتِه، برغْمِ ما امْتَلأتْ به نَفْسُهُ منْ رُعْبٍ شديد وما تَغَشّاهُ مِن فزعٍ هائل؛ لاسْتِيقانِهِ أنَّ موسى عليه السلام نَبِيٌّ، وليس بساحرٍ، لكنّه

(1) الجمل، حاشية الجمل على الجلالين: 4/ 11.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 126.
(3) محمد محمد أبو موسى، آل حم: غافر وفصلت: دراسة في أسرار البيان، ص: 96.

يوهِمُ مَنْ حَوْلَه بأنَّ مِنْ أتْباعِه منْ يُعارِضُ قَتْلَه، أو يتَشَفَّعُ في عَدَمِ المَساسِ به[1].

ومن المُحتَمَلِ أنْ يَكونَ المَلَأُ مِنْ حَوْلِه كانوا يَكُفّونَهُ عَنْ قَتْلِ موسى؛ لأنَّهُ لَوْ قَتَلَهُ لَظَهَرَ أمْرُهُ، ووَقَعَ في أوْهامِ النّاسِ أنَّ هَذا عَجْزٌ عَنِ الحِوارِ ومُقارَعَةِ الحُجَّةِ بالحُجَّةِ. ويحْتَملُ أنْ يَكونَ المرادُ بَيانَ قُدْرَتِه في قَتْلِ موسى ﷺ، كَما يَقولُ الرَّجُلُ: ذَرْني أفْعَلْ كَذا، مِنْ غَيْرِ أنْ يَكونَ هُناكَ مَنْ يَمْنَعُهُ، وإنَّما هوَ المُبالَغَةُ في حِرْصِهِ على فِعْلِ الشَّيْءِ[2].

وجاءَ الفِعْلُ بصيغَةِ الأمْرِ للإيهامِ بنَفاذِ أمْرِه، وكَمالِ سُلْطانِه وقَهْرِه للخانِعينَ مِنْ حَوْلِه، إمْعانًا في التَّجَبُّرِ والاستِكْبارِ.

بَلاغَةُ الكِنايَةِ في الفِعْلِ ﴿ذَرُونِيٓ﴾:

تَهَوُّرُ الطُّغاةِ مَقْرونٌ باسْتِخْفافِهم بالعَوامِّ وتَلْبيسِ الأُمورِ كأنَّها إرادَةُ المَحْكومينَ

أفادَ الفِعْلُ في قَوْلِه: ﴿ذَرُونِيٓ﴾ إعْلامَ فرعونَ ملأَهُ بإظْهارِ مَيْلِه لقتلِ موسى ﷺ وانْتِظارِه الموافَقَةَ عليه، بحَيْثُ يُمَثِّلُ حالَهُ وحالَ المُخاطَبينَ بحالِ مَنْ يُريدُ فِعْلَ شَيْءٍ فيُصَدُّ عَنْهُ، فلِرَغْبَتِه فيه يَقولُ لِمَنْ يَصُدُّهُ: دَعْني أفْعَلْ كَذا وخَلِّني؛ لأنَّ ذَلِكَ التَّرْكيبَ ممّا يُخاطَبُ بِهِ المُمانِعُ والمُلائِمُ ونَحْوُهُما، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ هَذا في التَّعْبيرِ عَنِ الرَّغْبَةِ ولَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مُعارِضٌ، وهوَ اسْتِعْمالٌ شائِعٌ كَما في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ [المُدَّثِّر: 11]، وقَوْلِه: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المُزَّمِّل: 11]، وذَلِكَ يَسْتَتْبِعُ كِنايَةً عَنْ خَطَرِ ذَلِكَ العَمَلِ وصُعوبَةِ تَحْصيلِه؛ لأنَّ مِثْلَهُ ممّا يَمْنَعُ المُسْتَشارُ مُسْتَشيرَهُ مِنَ الإقْدامِ عليه[3].

نُكْتَةُ الاقْتِصارِ على الرَغْبة في قَتْلِ موسى:

زُعَماءُ الدَّعْوَةِ والإصْلاحِ هُمْ حامِلو لِواءِ الحَقِّ

إيماءُ جملة ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ بغايةِ فِرْعَوْنَ قَتْلَ موسى دونَ الَّذينَ آمَنوا مَعَهُ؛ لأنَّ قَتْلَهُ أقْطَعُ لِفِتْنَتِهِمْ ينمُّ عن دَهائِه

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 273، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 316.
(2) محمد محمد أبو موسى، آل حم: غافر وفصلت: دراسة في أسرار البيان، ص: 96.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 126.

ومَكْرِه؛ لإدراكه أنَّ زُعَماءَ الدَّعْوَةِ والإصْلاحِ هُمْ حامِلو لواءِ الحَقِّ، وبِمَوْتِهِم تَتَعَرَّضُ الدَّعَواتُ الإلَهيَّةُ والإصْلاحيَّةُ إلى الانْتِكاثِ والتَّفَرُّقِ والتَّشَرْذُمِ، فضلًا عن حرصه على اسْتِبْقاءِ بَني إسْرائيلَ تَحْتَ نيْرِ العُبوديَّةِ ليَقوموا على خِدْمَةِ دَوْلَتِه، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ قَتْلَهم ضارٌّ لِمُلْكِه، فرَأى أنَّ قَتْلَ موسى ﷺ وحْدَه كافٍ ليَخْلُصَ لَه ما أرادَ.

مَعْنى الواوِ في ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾:

اضْطِرابُ فِرْعونَ بينَ إظْهارِ الاسْتِهانَةِ، وخَوْفِه مِنْ مَغَبَّةِ قَتْلِ موسى ﷺ

جاءَتِ الواوُ في جملة: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ عاطِفَةً، فعَطَفَتْ هَذِهِ الجملة على سابِقَتِها؛ لِبيانِ تَرَدُّدِ فِرْعَونَ وهَلَعِه مِنْ إرادَةِ قَتْلِ موسى ﷺ، وسعيِه الى إشْعارِ أتْباعِه باسْتِهانَتِه بِمَقامِ ممُوسى ﷺ ودَعْوَتِه؛ لأنَّ ظاهِرَ الجملة "الاسْتِهانَةُ بموسى ﷺ بِدُعائِه رَبَّهُ سُبْحانَهُ، كما يُقالُ: ادْعُ ناصِرَكَ فإنّي مُنْتَقِمٌ مِنكَ، وباطِنُهُ أنَّهُ كانَ تَرْعُدُ فرائِصُهُ مِن دُعاءِ رَبِّه، فلِهَذا تَكَلَّمَ بِهِ أوَّلَ ما تَكَلَّمَ، وأظْهَرَ أنَّهُ لا يُبالي بِدُعاءِ رَبِّه"[1].

وَيُحْتَمَلُ أنَّه كانَ مِنْ بينِ حاشيَةِ فِرْعَونَ مَنْ يُحَذِّرُهُ منَ الإقْدامِ على هَذا الصَّنيعِ؛ لاعتقادِه صِحَّةَ نُبوَّةِ موسى ﷺ، وأنَّ اللّهَ مُنْجيه من كيدِ فِرْعَونَ، ويُرَشِّحُ لِهَذا ما سَيأتي بَعْدَ ذَلِكَ من كَلامِ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعونَ.

مَعْنى اللّامِ في ﴿وَلْيَدْعُ﴾ وغَرَضُها:

التَّسْويةُ وعَدَمُ الاكْتِراثِ، أوِ المُبالَغةُ في التَّحَدّي والإنْكارِ

جاءَتِ اللّامُ في جملة ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ للأمْرِ؛ يَعْني: أنّي أقْتُلُهُ فلْيَقُلْ لِرَبِّهِ حَتّى يُخَلِّصَهُ مِنّي[2]، فاللّامُ هَهُنا مُسْتَعْمَلَةٌ في التَّسْوِيَةِ وعَدَمِ الاكْتِراثِ[3]، فهو مَحْضُ تَجَلُّدٍ مِنهُ، وإظْهارٌ لِعَدَمِ المُبالاةِ بِدُعائِه، ولَكِنَّهُ أخْوَفُ ما يَخافُهُ[4]. فالأمْرُ هَهُنا للمُبالَغَةِ في التَّحَدّي وإنكارِ أنْ يَكونَ لِموسى ﷺ إلَهٌ قادِرٌ على حِمايَتِه مِنْ فِرْعَوْنَ وللتَّهَكُّمِ بِموسى ورَبِّهِ. وذَهبَ بَعْضُهُم إلى أنَّ اللّامَ للتَّعْجيز.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 316.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 507.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 126.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 273.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالمُضارِعِ (يَدْعُ) وحَذْفِ الفاعِل:

مُداوَمَةُ موسى عليه السلام على الدُّعاءِ والتَّضَرُّعِ

التَّعبيرُ بصيغَةِ المُضارَعَةِ في جملة ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾، للإشارَةِ إلى تهكُّم فرعونَ بالتَّلميحِ إلى مُداوَمَةِ موسى عليه السلام على الدُّعاءِ والتَّضَرُّعِ؛ أي: فلْيُدِمْ دعاءَه لِمَن يَدْعوهُ ويَدَّعي إحْسانَهُ إلَيْه بِما يَظْهَرُ على يَدَيْه مِن هَذِهِ الخَوارِقِ[1]. فلا يَهولَنَّكُمْ ما يَذْكُرُ مِنْ رَبِّه؛ فإنَّهُ لا حَقيقَةَ لَهُ، وأنا رَبُّكُمُ الأعْلى[2].

وحَذَفَ النَّظْمُ فاعِلَ ﴿وَلْيَدْعُ﴾ لِسَبْقِ ذِكْرِه في قَوْلِه: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾؛ لأنَّ إظْهارَهُ مِنَ الإطْنابِ الَّذي لا داعيَ لهُ، فيَتَنَزَّهُ عَنْهُ النَّظْمُ القُرْآنيُّ البَديعُ، فضلًا عمّا فيه مِن تأكيدِ التَّهكُّم؛ لأنَّ في حَذْفِ الفاعلِ تقليلًا مِن شأنه، واستهانةً به.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ الرُّبوبيَّةِ مُضافًا إلى ضَميرِ موسى:

ادِّعاءُ فِرْعَونَ الأُلوهيَّةَ مانِعٌ مِنَ الإقْرارِ بِربِّ موسى عليه السلام

في جملة: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ أضافَ النَّظْمُ الحَكيمُ لَفْظَ الرُّبوبيَّةِ إلى ضَميرِ الهاءِ العائِدِ على موسى عليه السلام؛ للدَّلالَةِ على أنَّ فِرْعَونَ اللَّعينَ كانَ سادِرًا في غَيِّه، لا يَرْعَوي عَنِ اسْتِكْبارِه في ادِّعائِه الأُلوهيَّةَ كَما صَرَّحَ في مَواضِعَ أُخْرى كقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: 38]، وقوله: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النّازعات: 24]. وهو مع ذَلِكَ يُقِرُّ بأنَّ لِموسى عليه السلام إلَهًا آخَرَ، فلَمْ يَنْسِبْهُ إلى ادِّعاءاتِه الباطِلَةِ وأكاذيبِه الفارِغَةِ، وهو مِنْ بابِ عِصْمَةِ مَقامِ النُّبوَّةِ، فلا تُنْسَبُ إلى غَيرِ اللّه تعالى.

وفي إيثارِ لفظ الرُّبوبيّة دون الألوهيّة إظهارٌ لمعنى الإنعام على موسى عليه السلام، والتَّدبيرِ له؛ وإضمارٌ لمعنى الألوهيّة الَّتي لا يُقِرُّها إلّا لنفسِه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 50.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 305.

بلاغةُ التَّوريةِ في ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾:

إيهامُ المعبودين شيمةُ الكَفَرةِ الجاحدين

صَدَرَ من فرعونَ قولُه: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ على سبيل الإيهام والتَّورية، وهي: أن يُطلَقَ لفظٌ له معنيان: قريبٌ وبعيدٌ، ويُرادَ البعيدُ منهما. فأوهَمَ اللَّعينُ قومَه المعنى القريبَ وهو التَّهكُّمُ، وأضمَرَ في نفسِه البعيدَ، وهو إظهارُ أنْ ليس لموسى عليه السلام ربٌّ، والَّذي يدعوه ليس بربٍّ، ومِن ثَمَّ فإنَّ دعاءَهُ لا يُجدي شيئًا؛ لأنَّه يدعو ما لا حقيقةَ له، على حدِّ قولِكَ لمن ظفرتَ به وليس له ناصرٌ: أنا أنتقمُ منك فادْعُ ناصرَكَ؛ تهكُّمًا به[1].

نُكْتَةُ فصلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾:

سَوْقُ فِرْعَونَ لِمُبَرِّراتِ عَزْمِهِ على قَتْلِ موسى دليلٌ على مُحاوَلَتِه إقناعَ مَنْ حَوْلَهُ

فَصَلَ النَّظْمُ الحكيمُ جملة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ عَنِ الجملة السّابقَةِ عَلَيْها، وهي: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾؛ لِشِبْهِ كَمالِ الاتِّصالِ بَيْنَهُما، فقَدْ جاءَتْ هَذِهِ الجملة تَعْليليَّةً، فساقَ بَعْدَها فِرْعَونُ مُبَرِّراتِ إرادَةِ قَتْلِه موسى عليه السلام، فكَأنَّهُ سُئِلَ: ولِمَ هَذا الإصْرارُ على قَتْلِ موسى عليه السلام؟ فكانَ الجَواب ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾، فالجملة تَعْليلٌ لِلعَزْمِ على قَتْلِ موسى[2].

وفي سَوْقِ فِرْعَونَ لِمُبَرِّراتِ عَزْمِه على قَتْلِ موسى دليلٌ على مُحاوَلَتِه إقْناعَ مَنْ حَوْلَهُ، وعلى عَدَمِ قناعتِه بما يفعلُهُ في قرارةِ نفسِه، ولَكنَّ الغَيَّ والطُّغْيانَ والاسْتِبْدادَ يَسوقُ المُتَكَبِّرينَ إلى الكَذِبِ والإفْكِ والبُهْتانِ.

نُكْتَةُ التَّوْكيدِ بِـ(إنَّ) والجملة الاسْميَّةِ:

تنوَّعَتْ أساليبُ التَّوكيدِ لِلاسْتِمالَةِ والإقْناعِ وإزالَةِ التَّرَدُّدِ عن النَّفْسِ

في جملة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ جاءَ النَّظْمُ القُرآنيُّ بأُسْلوبَينِ مِنْ أساليبِ التَّوْكيدِ، الأوَّلُ التَّوكيدُ بـ(إنَّ)، والآخَرُ التَّوْكيدُ بالجملة الاسْميَّةِ، وفي التَّعْبيرِ بِهَذَينِ الأُسْلوبينِ بَيانٌ لِحِرْصِ فِرْعَونَ

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 495.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 126.

على اسْتِمالَةِ مَلَئِه وإقْناعِهم بِخُطورَةِ دَعْوَةِ موسى ﷺ على مُلْكِه، وهوَ في هَذا السّياقِ يُشيرُ كَذلكَ إلى عَدَمِ قناعتِه بِما هوَ مُقْدِمٌ عليه مِنْ إرادَةِ قَتْلِ موسى ﷺ، فهوَ يَحْشُدُ مَنْ أساليبِ التَّوكيدِ في خِطابِه ما يُقْنِعُ به نَفْسَهُ، ويُزيلُ خَوْفَهُ وتَرَدُّدَه.

مَهما بَلَغَ تَجَبُّرُ المُتَجَبِّرينَ فإنَّ خَوْفَهم عَظيمٌ مِن دَعْوَةِ الأنبياءِ والمُصْلِحينَ

والافتتاحُ بـ(إنَّ) ناصبةً لضميرِ فرعونَ وتأخيرُ الفعل ﴿أَخَافُ﴾ لِتَخْصيصِ الخَوْفِ بِفِرْعَونَ دونَ غَيْرِه، ولِتَأْكيدِ نِسْبَةِ الخَوْفِ إلَيْه، بحَسَبِ زَعْمِه، وفيه كذلك دَلالَةٌ على أنَّه مَهما بَلَغَ تَجَبُّرُ المُتَجَبِّرينَ والطُّغاة المتسلّطين فإنَّهُم على خَوْفٍ عَظيمٍ من دَعْوَةِ الأنْبياءِ والمُصْلِحينَ.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿أَخَافُ﴾:

خـوفُ فـرعـونَ متجدِّدٌ لا ينفكُّ عـنـه؛ لـعـلـمِـهِ بـنـبـوَّةِ مـوسى ﷺ

آثَرَ النَّظْمُ الحَكيمُ استِعْمالَ الفِعْلِ المُضارِعِ ﴿أَخَافُ﴾ للتَّعبيرِ عَنِ استِشْعارِ فِرعَونَ الخَطَرَ لَمّا رَأى انْتِشارَ دَعْوَةِ موسى ﷺ، وعَبَّرَ بَصيغَةِ المُضارَعةِ ليُفيدَ تَجَدُّدَ خَوْفِه واسْتِمْرارَهُ. ومَثارُ خَوْفِه على دينِهِمْ علمُهُ أنَّهُ دينٌ فاسِدٌ، أملاهُ المَلَأُ المُتَفَرِّقونَ لَهُ، وجَماعَةُ المُنافِقينَ المُتَرَبِّحينَ بِنِفاقِ أصْحابِ السُّلْطانِ[1].

دلالةُ المصدرِ المؤوَّلِ ﴿أَن يُبَدِّلَ﴾:

ادِّعـاءُ الـخَـوْفِ مِنْ تَبديلِ النَّهْجِ والدّينِ والعادَةِ دَأْبُ المُتَجَبِّرينَ

وَقَعَ المَصْدَرُ المُؤَوَّلُ مِنْ ﴿أَن﴾ وما بَعْدَها في جملة ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ منصوبًا على المَفْعوليَّةِ لِلفِعْلِ ﴿أَخَافُ﴾، أو هو نَصْبٌ على نَزْعِ الخافِضِ على الخِلافِ فيه[2].

وفي التَّعبيرِ بالمَصْدَرِ المُؤَوَّلِ دَلالَةٌ على الاسْتِقْبالِ، وإشارَةٌ إلى عُلوِّ فِرْعَونَ وثَباتِ طُغْيانِه، وأنَّهُ يَخْشى تَبَدُّلَ هذا الطُّغْيانِ أوِ انْتِقاصَ قَدْرِه بِسَبَبِ دَعْوَةِ موسى ﷺ، فلِذلِكَ عَدَلَ عَنِ المَصْدَرِ الصَّريحِ فلَمْ يَقُلْ: (إنّي أخافُ تَبَدُّلَ دينِكم) لِدَلالَتِه على الحَدَثِ دونَ الزَّمَنِ[3]،

(1) محمد محمد أبو موسى، آل حم: غافر وفصلت: دراسة في أسرار البيان، ص: 97.
(2) الخطيب وآخران، التفصيل في إعراب آيات التنزيل: 24/ 141.
(3) السامرائي، معاني النحو: 3/ 147.

فضلًا عن التَّركيزِ على تبديلِ الدّينِ دون بيان كيفيّته، فحالةُ الخوفِ يَكفيها أنْ تُثارَ بعموم التَّعبيرِ عن الحدث؛ والمصدرُ المؤوَّلُ - ولا سيَّما مع (أنْ) - يدلُّ على مجرَّدِ معنى الحدثِ دون احتمالٍ زائد عليه من صفةٍ أو هيئَةٍ أو كيفيَّةٍ، ففي ﴿أَن﴾ تحصينٌ من الإشكال، وتخليصٌ من شوائب الإجمال[1].

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ﴿يُبَدِّلَ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

التَّبديلُ هوَ إقامةُ شيْءٍ مُقامَ شيْءٍ ذاهِبٍ. ومُرادُ فِرْعَونَ أنّه سيُغَيِّرُ الحالَ مِن عِبادَتِه وعِبادَةِ الأصْنام، فقَدْ أمَرَهم بِنَحْتِها وأنْ تُجْعَلَ شُفَعاءَ لَهم عِنْدَهُ كفعل كُفّارِ مَكَّةَ[2]. وقَدْ تَوَسَّمَ فِرْعَوْنُ مِن إنْكارِ موسى عَليْهِ زَعْمَهُ أنَّهُ إلَهٌ لِقَوْمِه أنَّ صَنيعَ موسى تَبْديلٌ للأُصولِ يَقْتَضي تَبْديلَ فُروعِ شريعَتِه كُلِّها[3].

استمرارُ خوفِ فرعونَ مِنْ زوالِ سُلطانِه وعدمِ خُضوعِ النّاسِ لَه

وآثَرَ النَّظْمُ الحَكيمُ التَّعبيرَ عنْ مُرادِ فِرْعَونَ - لَعَنَهُ اللّهُ - بصيغَةِ المُضارَعَةِ للدَّلالَةِ على استمرارِ خَوْفِه منْ تَجَدُّدِ هذا التَّبديلِ الَّذي بَدَأتْ بَوادِرُهُ في الظُّهورِ والحُدوثِ بانْتِشارِ دَعْوَةِ موسى ﷺ بينَ بَني إسْرائيلَ.

نُكْتَةُ إضافَةِ الدّينِ إلى ضَميرِ المُخاطَبينَ:

في جملة ﴿أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أضافَ النَّظْمُ الحَكيمُ - على لِسانِ فِرْعَونَ - الدّينَ إلى ضَميرِ المُخاطَبينَ، وفي ذَلِكَ تَعْريضٌ بأنَّهم أوْلى بالذَّبِّ عَنِ الدّينِ وإنْ كانَ دينَهُ أيْضًا، لَكِنَّهُ تَجَرَّدَ في مُشاوَرَتِهِمْ عَنْ أنْ يَكونَ فيهِ مُراعاةٌ لِحَظِّ نَفْسِه، كَما قالوا هم: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: 127]، وذَلِكَ كُلُّهُ إلْهابٌ وتَحْضيضٌ[4]. وفيه كذلك اسْتِخْفافٌ بِعُقولِهِمُ الضَّعيفَةِ، الَّتي تَسيرُ وراءَ كُلِّ ناعِقٍ أظْهَرَ زورًا وكَذِبًا أنَّهُ مُشْفِقٌ عليهم.

إلْهابُ مشاعرِ المُخاطَبينَ تنفيذًا لِمآربِ اللَّعين

(1) السامرائي، معاني النحو: 3/ 148.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 316.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 126.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 126.

سرّ العطف بـ﴿أَوۡ﴾:

عَطَفَ النَّظْمُ الحَكيمُ جملة ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ على جملة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ بحَرفِ العَطْفِ ﴿أَوۡ﴾ الدّالِّ على التَّرَدُّدِ والإبْهامِ، وذَلِكَ إذا كانَ المُتَكَلِّمُ عالِمًا بالأمْرِ ولَكِنَّه يُريدُ أنْ يُبْهِمَهُ على السّامِعِ[1].

مـــن مَـــكْـــرِ فِرْعَونَ بأتْباعِهِ اسْـتِـخْـفـافُـهُ بِـعُـقـولِـهـم وإيهامُهُ لهم

وقدْ عَبَّرَ البيانُ القُرْآنيُّ عَنْ مُرادِ فِرْعَونَ بأداةِ العَطْفِ ﴿أَوۡ﴾ لِبيانِ مَكْرِهِ بأتْباعِهِ واسْتِخْفافِهِ بِعُقولِهِم، وإيهامِهِ لَهُم بِتَرْديدِ الخَوْفِ بَيْنَ تَبْديلِ الدّينِ أوْ ظُهورِ الفَسادِ[2].

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿أَن يُظۡهِرَ﴾:

في جملة ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ وقَعَ المَصْدَرُ المُؤَوَّلُ مِنْ ﴿أَن﴾ وما بَعْدَها مَعْطوفًا على المَصْدَرِ السّابِقِ، أي: أخافُ تَبْديلَهُ دينَكُمْ، أو إظْهارَهُ الفَسادَ في الأرضِ[3].

اتِّـهـامُ دَعْـوَةِ الأنْـبـيـاءِ والمُـصْـلِـحـيـنَ بـالـفـسـاد دَأبُ المُتَجَبِّرينَ وأهلِ العِناد

وفي التَّعبيرِ به دَلالَةٌ على الاسْتِقْبالِ، وإشارَةٌ إلى عُلوِّ فِرْعَونَ وثَباتِ طُغْيانِه، وأنَّهُ يَخْشى تَبَدُّلَ هذا الطُّغْيانِ أو انْتِقاصَ قَدْرِه بِسَبَبِ دَعْوَةِ موسى ﷺ، فلِذَلِكَ عَدَلَ عَنِ المَصْدَرِ الصَّريحِ فلَمْ يَقُلْ: (إنّي أخافَ إظْهارَ الفَسادِ)؛ لِدَلالَتِه على الحَدَثِ دونَ الزَّمَنِ[4]، فضلًا عن التَّركيزِ على إظْهارِ الفَسادِ مِن دونِ بيانِ كيفيّته.

والمَقْصودُ مِن هَذا الكَلامِ بَيانُ السَّبَبِ الموجِبِ لِقَتْلِهِ، وهو إفسادُهُ الدُّنْيا إنْ لم يكن إفسادَهُ الدّينَ؛ إذ لا بُدَّ أنْ يَجْتَمِعَ عليه قَوْمٌ ويَصيرَ ذَلِكَ سَبَبًا لِوُقوعِ الخُصوماتِ وإثارَةِ الفِتَنِ[5].

(1) فاضل السامرائي، معاني النحو: 3/ 251.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 250.
(3) الخطيب وآخران، التفصيل في إعراب آيات التنزيل: 24/ 141.
(4) فاضل السامرائي، معاني النحو: 3/ 147.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 507.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ﴿يُظْهِرَ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

اسْتِعانةُ فرعونَ بكلِّ ما يَستطيعُ لِتَخْويفِ القَومِ مِنْ دَعْوَةِ موسى عليه السلام

في جملة ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ عَبَّرَ النَّظْمُ الحَكيمُ عَن ادِّعاءاتِ فِرْعَونَ في حَقِّ موسى عليه السلام بإظْهارِ الفَسادِ، لِلْمبالَغَةِ في تَخْويفِ النّاسِ مِنْ دَعْوَتِه. وقَدْ آثَرَ البيانُ مادَّةَ (الظُّهور)؛ لأنَّها أَصْلٌ صَحيحٌ واحِدٌ يَدُلُّ على قوَّةٍ وبُروزٍ وانْكشافٍ[1]، فاسْتِعْمالُ هَذِهِ المُفْرَدَةِ يُشيرُ إلى مَكْرِ فِرْعَوْنَ بأتْباعِهِ وإرادَةِ تَبْريرِ قَتْلِ موسى عليه السلام، كَما يَظْهَرُ فيها مِنْ خُبْثِ فِرْعَوْنَ ودَهائِهِ الكَثيرُ؛ لأنَّ مَعْناهُ: أنَّهُ إنْ تَرَدَّدَ وآمَنَ مَعَهُ مَنْ آمَنَ مِنْ قَوْمِهِ أو مِنْ غَيْرِ قَوْمِهِ فسَيَظْهَرُ في البِلادِ دينٌ آخَرُ لَهُ طائِفَةٌ أُخْرى، وبِذَلِكَ تَحْدُثُ الفُرْقَةُ الطّائِفيَّةُ النّاجِمَةُ عَنْ تَعَدُّدِ الدّينِ، وتَحْدُثُ انْشِقاقاتٌ في الصَّفِّ الواحِدِ، وهَذا هوَ إظْهارُ الفَسادِ، فهوَ يَرى أنَّ الوَحْدَةَ مَعَ الدّينِ الباطِلِ أَفْضَلُ مِنَ التَّفَرُّقِ بالحَقِّ[2]، وهوَ دَيْدَنُ الطُّغاةِ في كلِّ وقْتٍ وحينٍ.

وصيغةُ المضارع تدلُّ - بحسب زَعْمِ فرعونَ - على استمراره في إظهارِ الفساد، ودوامه على ذلك؛ ممّا يزيدُ من خطره، وهو أدْعى للتَّأليبِ عليه.

نُكْتَةُ تَعْديَةِ ﴿يُظْهِرَ﴾ بِـ﴿فِي﴾:

خَشْيَةُ فِرْعَونَ مِن انْتِشارِ دَعْوَةِ مـوسى عليه السلام في رُبوعِ البِلادِ

عَدّى النَّظْمُ الحَكيمُ الفِعْلَ ﴿يُظْهِرَ﴾ في جملة: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ بِحَرْفِ الجَرِّ ﴿فِي﴾؛ لِلدَّلالَةِ على الظَّرْفيَّةِ المَكانيَّةِ؛ إشارَةً إلى دَعْوى فِرْعَونَ اللَّعينِ الَّتي يَسوقُ فيها مُسوّغاتِ إرادَتِه قَتْلَ موسى عليه السلام؛ بأنَّ إفْسادَهُ سَيَنْتَشِرُ في رُبوعِ مِصْرَ، فيُفْسِدُ عليه طاعَةَ النّاسِ لَه، ويُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ في استِعْمالِهِ إشارَةٌ إلى ذيوعِ دَعْوَةِ موسى عليه السلام وانْتِشارِها في طولِ البلادِ وعَرْضِها.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظهر).

(2) محمد محمد أبو موسى، آل حم: غافر وفصلت: دراسة في أسرار البيان، ص: 98.

بَلاغَةُ الاِسْتِعارَةِ في التَّعْبيرِ عَنِ الانْتِشارِ بالظُّهورِ:

حِـرْصُ فِـرْعَـونَ عـلى تَـحْـضيـضِ أتْـباعِهِ وتأْليبِهِم على موسى عليه السلام

في جملة ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ عَبَّرَ النَّظْمُ الحَكيمُ على لسانِ فِرْعَونَ اللَّعينِ عن انْتِشارِ دَعْوَةِ موسى عليه السلام بإظْهارِ الفَسادِ، وأُطْلِقَ الإظْهارُ على الفُشوِّ والانْتِشارِ على سَبيلِ الاسْتِعارَةِ[1]، فصَوَّرَ الفَسادَ بشَيءٍ ماديٍّ يَظْهَرُ للعيانِ في صورَةٍ مَحْسوسَةٍ مَرْئيَّةٍ. وفيها بَيانٌ لِحِرْصِ فِرْعَونَ على تَحْضيضِ أتْباعِهِ وتأْليبِهِم على موسى عليه السلام.

مَعْنى (اللّام) في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

هَمُّ فِرْعَونَ الأوَّلُ بَسْطُ نُفوذِهِ على مَمْلَكَتِهِ

جاءَتْ لَفْظَةُ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ في جملة ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ مُعَرَّفَةً باللّام، إشارَةً إلى الأرْضِ المَعْهودَةِ عِنْدَهم، وهي مَمْلَكَةُ فِرْعَونَ[2]. وأشارَ البقاعيُّ إلى أنَّ المُرادَ بالأرْضِ هَهُنا الأرْضُ كُلُّها[3].

نُكْتَةُ تَقْديمِ شِبْهِ الجملة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾:

ادِّعـاءُ إظْـهـارِ الـفَـسـادِ حُـجَّـةٌ داحِضَةٌ

في جملة ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ قَدَّمَ النَّظْمُ الحَكيمُ شِبْهَ الجملة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ على المَفْعولِ به ﴿ٱلْفَسَادَ﴾؛ لأنَّ الغايَةَ الأولى لِفِرْعَونَ هيَ السَّيْطَرَةُ على الأرْضِ بِوَصْفِها مَجالًا لإظْهارِ بَطْشِهِ وطُغْيانِه.

وفي هذا التَّقْديمِ كذلك إيماءٌ إلى أنَّ اهْتِمامَهُ بِما يَدَّعيهِ مِنْ إزالَةِ الفَسادِ المَزْعومِ أقَلُّ مِن اهْتِمامِهِ بِبَسْطِ نُفوذِهِ على رُبوعِ مَمْلَكَتِهِ الَّتي نَصَبَ نَفْسَهُ إلَهًا عليْها.

مَعْنى (اللّام) في ﴿ٱلْفَسَادَ﴾:

إرادةُ فـرعـونَ عُـمـومَ الفسادِ لشتّى صنوفِهِ مـبـالـغـةٌ في تحريضِ قومِهِ على موسى عليه السلام

جاءَتْ لَفْظَةُ ﴿ٱلْفَسَادَ﴾ في جملة ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ مُعَرَّفَةً باللّام، وهذه (اللّامُ) إمّا أنْ تكونَ لتَعْريفِ العَهْدِ؛ لِفَسادٍ مَعْهودٍ لَدى المُخاطَبينَ، وإمّا أنْ تكونَ لتَعْريفِ الجِنْسِ الشّامِلِ لِكُلِّ فسادٍ[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 126.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 126.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 51.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 126.

نُكْتَةُ تَقْديمِ خَوْفِهِ مِنْ تَبْديلِهِ الدّينَ على إظْهارِهِ الفَسادَ:

الـدّيـنُ هـوَ خَـيْرٌ عـاصِـمٌ يَـعْـصِـمُ الجَماعَةَ، وخَيْرٌ جامِعٌ يَجْمَعُها

في جملة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ قَدَّمَ النَّظْمُ الحَكيمُ - على لسانِ فِرْعَوْنَ - الخَوْفَ من تَبْديلِ الدّينِ على الخَوْفِ من إظْهارِ الفَسادِ في الأرْضِ؛ لأنَّهُ كانَ مَلِكًا يَعْرِفُ كَيْفَ يُضْبَطُ المُلْكُ، فالدّينَ خير من يعصم الجَماعَةَ وخَيْرُ من يَجْمَعُها وخَيْرُ دافِعٍ يَدْفَعُها، والسّياسَةُ النّاجِحَةُ هيَ الَّتي تَغْرِسُ هَذا الدّينَ في قَلْبِ الجَماعَةِ لا الَّتي تُحارِبُهُ وتُؤْذي أهْلَهُ وتُهَدِّدُهُمْ، حَتّى إنَّ النّاسَ يُخْفونَ في مُجْتَمَعِهِمْ سَمْتَ التَّدَيُّنِ، ولا نَنْسى أنَّ فِرْعَوْنَ موسى عليه السلام - وَهوَ كافِرٌ هالِكٌ - كانَ رَجُلَ سياسَةٍ ووَعْيٍ، وتاريخُهُ مِنْ بَيْنِ الفَراعِنَةِ تاريخٌ سياسيٌّ مُحَنَّكٌ[1].

بَلاغَةُ تَوْجيهِ القِراءاتِ القُرْآنيَّةِ في ﴿يُظْهِرَ﴾:

زيادَةُ التَّحْضيضِ على قَتْلِ موسى عليه السلام والتَّحْذيرِ من دَعْوَتِهِ

قَرَأ الكوفيّونَ، ويَعْقوبُ ﴿أَوْ أَن﴾ بزيادَةِ هَمْزَةٍ مَفْتوحَةٍ قَبْلَ الواوِ، وإسْكانِ الواوِ، وكَذَلِكَ هيَ في مَصاحِفِ الكوفَةِ. وقَرَأ الباقونَ بِغَيْرِ ألِفٍ: ﴿وَأَن﴾، وكَذَلِكَ هي في مَصاحِفِهِمْ. واخْتَلَفَ القُرّاء في قراءة الفعل ﴿يُظْهِرَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ فقَرَأ المَدَنيّانِ والبَصْريّانِ وحَفْصٌ: ﴿يُظْهِرَ﴾ بِضَمِّ الياءِ وكَسْرِ الهاءِ وبنصْبِ ﴿ٱلۡفَسَادَ﴾، وقَرَأ الباقونَ بِفَتْحِ الياءِ والهاءِ ﴿يَظْهَرَ﴾ وبِرفْعِ ﴿ٱلۡفَسَادُ﴾[2]، فتلخَّص من هذا القراءات الآتية على التركيب:

1. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ وَأَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾: نافع وأبو عمرو وأبو جعفر.

2. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ وَأَن يَظۡهَرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادُ﴾: ابن كثير وابن عامر.

(1) محمد محمد أبو موسى، آل حم: غافر وفصلت: دراسة في أسرار البيان، ص: 98.
(2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 365.

3. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يَظۡهَرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادُ﴾: شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر.

4. ﴿إِنِّيٓ أخافُ أن يُبَدِّلَ دينَكُمۡ أوۡ أن يُظۡهِرَ فى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسادَ﴾: حفص ويعقوب.

وفي تَنَوُّعِ هَذِه القِراءاتِ تَظْهَرُ بَعْضُ الفُروقِ الدِّلاليَّةِ الدَّقيقَةِ، فتارَةً يَكونَ موسى ﷺ - بحسبِ ادِّعاءِ فِرْعَونَ - سَبَبًا في ظُهورِ الفَسادِ. وتارَةً يَكونُ المَعْنى أنَّ الفَسادَ يَظْهَرُ بِسَبَبِ ظُهورِ أتْباعِ موسى، أو بأنْ يَجْتَرِئَ غَيْرُهُ على مِثْلِ دَعْواهُ فتَزولَ حُرْمَةُ الدَّوْلَةِ؛ لأنَّ شَأْنَ أهْلِ الخَوْفِ مِن عَمَلٍ أنْ يَنْقَلِبَ جُبْنُهم شَجاعَةً إذا رَأوْا نَجاحَ مَنِ اجْتَرَأ على العَمَلِ الَّذي يُريدونَ مِثْلَهُ[1].

وفي المُزاوَجَةِ بينَ أداةِ العَطْفِ ﴿أَوْ﴾ والواوِ، يَكونُ المُرادُ نِسْبَةَ الأمْرَينِ جَميعًا لِموسى ﷺ؛ لِزيادَةِ التَّحْضيضِ والتَّخْويفِ مِنْ دَعْوَتِه، ولإقْناعِهِم بِمُبَرِّراتِ قَتْلِهِ والتَّخَلُّصِ مِنْه.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

(ذَروني) و(دَعوني) و(اتْرُكوني):

الـتَّرْكُ التَّخَلّي عن الـشَّيءِ مَعَ الـزُّهْـدِ فيه أو الحِرْصِ عليه

(التَّرْكَ) عامٌّ يُطْلَقُ على التَّخَلّي عَنِ الشَّيْءِ مَعَ حِرْصِكَ عليه أو مَعَ زَهادَتِكَ فيهِ. و(يَدَعُ) فعلٌ يدلُّ على تَرْكِ الشَّيْءِ مَعَ الاهْتِمامِ بِهِ والحِرْصِ عليه، ومِنْهُ (الإيداعُ)، و(الوَديعَةُ) عِنْدَ الشَّخْصِ المُؤْتَمَنِ حِرْصًا عَلَيْها. و(يَذَرُ) فعلٌ يدلُّ على التَّخَلّي عَنِ الشَّيْءِ إهْمالًا لَهُ لِعَدَمِ الاعْتِناءِ بِشَأْنِه، يُقالُ: فُلانٌ يَذَرُ الشَّيْءَ؛ أي: يَقْذِفُهُ لِقِلَّةِ الاعْتِدادِ بِهِ، والوَذَرَةُ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ وتَسْمِيَتُها بِذَلِكَ لِقِلَّةِ الاعْتِدادِ بِها[2]، قالَ تَعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 126.
(2) الراغب، مفردات القرآن: (وذر).

ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: 70]، وقالَ تَعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: 127]، وقالَ تَعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: 112].

وفي جملة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ اسْتَعْمَلَ النَّظْمُ الحَكيمُ الفِعْلَ ﴿ذَرُونِيٓ﴾ لِما فيه مِنْ مَعْنى التَّرْكِ، إذْ هوَ مُفارَقَةٌ لِلشَّيْءِ وانْفِصالٌ أو تَخَلٍّ عَنْهُ. وقَدْ آثَرَ البيانُ القُرآنيُّ التَّعْبيرَ بِهذِه الصّيغةِ دونَ غَيْرِها مِنَ الصّيغِ الدّالَّةِ على التَّرْكِ والتَّخْليَةِ لِقِلَّةِ تَصَرُّفِ مادَّةِ (وَذَرَ)، فهيَ أشَدُّ دَلالَةً على قوَّةِ الرَّغْبَةِ في تَنْفيذِ ما هو مُقْبِلٌ عليه مِن إرادَةِ قَتْلِ موسى[1] عليه السلام.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (وذر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»